٤ ـ هاجر امرأة «إبراهيم» عليه السلام

عندما دخل «إبراهيم» عليه السلام مصر وبصحبته امرأته «سارة» رضي الله عنها، وكان يحكمها جبار عنيد، وفرعون متكبر شديد.

فأتاه رجل من حاشيته، وقال له: إن في أرضك ههُنا رجلاً معه امرأة لها من الحسن والجمال نصيب موفور لم تحظ بمثله أنثى من بنات «حَوَّاء» عليها السلام.

ولما سمع الخبيث ذلك استدعى «إبراهيم» عليه السلام ليأتيه، فجاءه «إبراهيم» ليعلم ما يريد، فسأله الجبار: من المرأة التي تصحبك؟ قال: هي أختي، مورِّياً عن أنها أخته في الإسلام، فقال له: أرسلها إليَّ حتى أنظر إليها.

وأقفل «إبراهيم» عليه السلام عائداً إلى بيته، وأخبر «سارة» رضي الله عنها أن الجبار يرغب في رؤيتها، وأنه ذكر له أنها أخته ـ قاصداً أنها أخته في الدنيا ـ وطلب منها ألَّا تكذبه عنده حين يسألها عنه.

وانطلقت «سارة» رضي الله عنها قاصدة قصر فرعون، وانتصب «إبراهيم» عليه السلام في محرابه ليصلي ويدعو الله أن يصرف عنه وعن امرأته ما يضمر لهما فرعون من السوء والأذى، وحين دخلت عليه أقبلت تتوضأ وتصلي، وتقول: اللهم! إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك، وأحصنت فرجي إلَّا على زوجي فلا تسلِّط عليَّ الكافر.

ثم إن الجبار مَدَّ بيده إليها يريد أن يمسكها، فيبست إلى صدره وتحولت إلى خشبة يابسة، وغطَّ فرعون حتى ركض برجله، فقالت: اللهم! إن يمت يُقَلْ: هي قتلته، فأُرْسِلَ، ثم قام إليها، فعادت تتوضأ وتصلي وتقول: اللهم! إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلَّا على زوجي فلا تسلِّط عليَّ الكافر، فغطَّ فرعون حتى ركض برجله، فقالت: اللهم! إن يمت يُقَلْ: هي قتلته، فأُرْسِلَ، فقال في الثالثة أو الرابعة: ما أرسلتم إلَّا شيطاناً، ارجعوها إلى «إبراهيم» وأعطوها «هاجر».

ولقد ذهبت «سارة» إلى الجبار، ثم آبت إلى زوجها «إبراهيم» وعين الله

obeikandi.com

ترعاها، وعنايته محدقة بها تمنعها كل سوء، وقد كشف الله الحجاب لخليله «إبراهيم» عليه السلام فيما بين «إبراهيم» وبينها، فلم يزل يراها منذ ذهابها حتى إيابها، وكان مشاهداً لها وهي عند الملك، وكيف عصمها الله منه، ليكون زوجها أقرَّ عيناً وأنعم بالاً، وأسكن نفساً، وأدعى لطمأنينة قلبه، فقد كان يحبها أشد الحب لما كانت عليه من دين وتقى وصلاح.

ووصلت «سارة» إلى بيتها ومعها «هاجر» وكان «إبراهيم» عليه السلام في صلاته، فلم يكد يفرغ منها حتى بادرها بالسؤال: مَهْيَمْ؟ أي: ما وراءك؟ فقالت: كفى الله كيد الفاجر الكافر، وأخدم «هَاجَرَ».

وحرصت «هَاجَرُ» على خدمة «سارة» و«إبراهيم» عليه السلام على أكمل وجه، وأحسن صورة.

وكانت «سارة» رضي الله عنها محبة لزوجها «إبراهيم» عليه السلام ولا تألو جهداً في إسعاده، وإدخال المسرة إلى قلبه، ولما رأت عجزها عن إنجاب الولد له، وتلك كانت أعظم أمنياته، وكانت «هاجر» جارية وضيئة، وذات هيئة تسر الناظرين، فقد هداها فكرها السليم، إلى خير عميم، إنها تشتهي الولد ولا تستطيع الإنجاب بسبب عقمها، و«إبراهيم» عليه السلام يتوق إلى ذلك توقاناً عظيماً، وها هي ذي «هاجر» الجميلة تعيش معهما، فلتهبها له، لعل الله يرزقها بولد يسعدهم أجمعين.

يقول أبو جعفر الطبري نقلاً عن ابن إسحاق، قال:

وكانت «هاجر» جارية ذات هيئة، فوهبتها «سارة» «لإبراهيم»، وقالت: إني أراها امرأة وضيئة، فخذها، لعلَّ الله يرزقك منها ولداً، وكانت «سارة» قد منعت الولد، فلا تلد لإبراهيم حتى أَسَنَّت.

وكان «إبراهيم» قد دعا الله أن يهب له من الصالحين، وأُخِّرَتِ الدعوة حتى كبر «إبراهيم» وعقمت «سارة»، ثم إن «إبراهيم» وقع على «هاجر» فولدت له «إسماعيل» عليه السلام[1]. وكانت «هاجر» بذلك أمًّا للعرب أجمعين.

---

(١) تاريخ الطبري (١/٢٤٧).

وكان «إبراهيم» عليه السلام من الحامدين الشاكرين، لأنعم رب العالمين، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٩] .

وكان سرور «إبراهيم» عليه السلام عظيماً بما أنعم الله عليه، ولم لا يسرُّ وامرأته الحبيبة «سارة» قد أنجبت له «إسحاق» وامرأته الجديدة «هاجر» قد ولدت له «إسماعيل»، أجل! إنها لنعمة سابغة من متفضل كريم، يسع بكرمه خلقه أجمعين.

وظنَّ «إبراهيم» عليه السلام أن أسباب السعادة قد بَاتَتْ مِلْكَ يمينه، حين رأى وثوق المودة بين امرأتين، ومما زاد في بهجته، وفرحته أن تحذو «هاجر» حذو «سارة» وترسم خطواتها في حبها للعبادة وشدة شغفها بذكر الله، وتعلقها بالتسبيح بكرة وعشياً وحين تُظْهِرُ، لقد دلَّتها «سارة» على مسالك الإيمان، ومحبة الرحمٰن، فقررت سلوكها، ونفَّذت ذلك بحرص شديد، ولكن الغيرة في النساء خلق قديم، وقد ظهرت بوادرها عند «سارة» حين ظهرت على «هاجر» آثار الحمل وتباشيره.

ثم اشتدت تلك الغيرة بعد ولادة «هاجر» «لإسماعيل» عليه السلام على الرغم من أن الثلاثة: «إبراهيم» و«سارة» و«هاجر» خرُّوا سجداً لرب العالمين، حمداً وشكراً وإقراراً بالفضل الجزيل الذي شَمِلَهم جميعاً.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية؛ عن سعد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أول ما اتخذ النساء المِنْطَق من قبل «أم إسماعيل»، اتخذت مِنْطَقاً لتعفِّي أثرها على «سارة»، ثم جاء بها «إبراهيم» وبابنها «إسماعيل» وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاءً فيه ماء.

ثم مضى «إبراهيم» منطلقاً فتبعته «أم إسماعيل» فقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا، ثم رجعت.

فانطلق «إبراهيم» حتى إذا كان عند الثنية، حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم، الآية: ٣٧]

وجعلت «أم إسماعيل» ترضع «إسماعيل» وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يلتوي أو قال: يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طَرَفَ ذراعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى إذا جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**فلذلك سعى الناس بينهما**»، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صَهْ تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غَوَاث، فإذا هي بالمَلَك عند موضع «زمزم»، فبحث بعقبه أو قال بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تخوضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهي تفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم**» أو قال: «**لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً**».

فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها المَلَك: لا تخافي الضيعة فإن هٰهُنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية[1] تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من «جُرْهُم» أو أهل بيت من «جُرْهُم» مقبلين من طريق كذا، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جَرِيًّا ـ رسولاً ـ أو جَرِيَّيْن، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: و«أم إسماعيل» عند الماء، فقالوا: تأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماء، قالوا: نعم.

obeikandl.com

قال عبد الله بن عباس: قال النبي ﷺ: فألفى ذلك «أم إسماعيل» وهي تحب الإنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت «أم إسماعيل».

فجاء «إبراهيم» بعدما تزوج «إسماعيل» يطالع تركته، فلم يجد «إسماعيل» فسأل امرأته، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشَرٍّ، في ضيق وشدة، وشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك، اقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه.

فلما جاء «إسماعيل» كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ فقالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته أنَّا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول لك: غَيِّرْ عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وأمرني أن أفارقك، فالحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى.

ولبث عنهم «إبراهيم» ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت الماء، قال: اللهم! بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ، ولو كان لهم حَبٌّ لدعا لهم فيه فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه.

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء «إسماعيل» قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرته أنَّا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وأمرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء، ثم جاء بعد ذلك، و«إسماعيل» يبري نبلاً له، تحت درجة قريباً من «زمزم»، فلما رآه قام إليه فصنعا

كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد، ثم قال: يا إسماعيل! إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك به ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ههُنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل «إسماعيل» يأتي بالحجارة، و«إبراهيم» يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، و«إسماعيل» يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة، الآية: ١٢٧] ، قال: وجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة، الآية: ١٢٧] .

وعن أهل التوراة: أن «إبراهيم» أمره الله بأن يختن ولده «إسماعيل» وكل من عنده من العبيد وغيرهم، فختنهم، وذلك بعد مضي تسع وتسعين سنة من عمره، فيكون عمر «إسماعيل» يومئذ ثلاث عشرة سنة.

وهذا امتثال لأمر الله عز وجل في أهله، فيدل على أنه فعله على وجه الوجوب، ولهذا كان الصحيح من أقوال العلماء أنه واجب على الرجال.

وقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: **«اختتن «إبراهيم» النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم»**[(١)] . وأما رواية أبي جعفر الطبري لبناء البيت فقد جاء فيها:

قال: ثم إن الله عز وجل أمر «إبراهيم» بعد ما ولد له «إسماعيل» و«إسحاق» ـ فيما ذكر ـ ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر، فلم يدر «إبراهيم» في أي موضع يبني، إذ لم يكن بيَّن له ذلك، فضاق بذلك ذرعاً، فقال بعض أهل العلم: بعث الله السكينة لتدله على موضع البيت، فمضت به السكينة، ومع «إبراهيم» «هاجر» زوجته وابنه «إسماعيل» وهو طفل صغير.

وقال بعضهم: بل بعث الله إليه «جَبْرَئيل» عليه السلام، حتى دله على موضعه، وبيَّن له ما ينبغي أن يعمل.

ذكر من قال: الذي بعثه الله إليه لذلك السكينة: حدثنا هناد بن السري،

(١) البداية والنهاية (١/ ١٧٢ ـ ١٧٥).

قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة: أن رجلاً قام إلى «علي بن أبي طالب» فقال: ألا تخبرني عن البيت، أهو أول بيت وضع في الأرض؟ فقال: لا، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام «إبراهيم» ومن دخله كان آمناً، وإن شئت أنبأتك كيف بني، إن الله ﷻ أوحى إلى «إبراهيم» أن ابن لي بيتاً في الأرض، فضاق «إبراهيم» بذلك ذرعاً، فأرسل ﷻ السكينة، وهي ريح خَجُوجٌ ـ شديدة المَرِّ ـ ولها رأسان، فاتبع أحدهما صاحبَه حتى انتهت إلى مكة، فتطوَّت على موضع البيت كتطوِّي الحية، وأُمِرَ «إبراهيم» أن يبني حيث تستقر السكينة، فبنى «إبراهيم» وبقي حَجَر، فذهب الغلام يبني شيئاً، فقال «إبراهيم»: ابْغِني حجراً كما آمرك، فانطلق الغلام يلتمس له حجراً، فأتاه به، فوجده قد ركّب الحجر الأسود في مكانه، فقال: يا أبت! من أتاك بهذا الحجر؟ فقال: أتاني به من لم يتّكل على بنائك، أتاني به «جَبْرائيل» من السماء، فأتَمَّاه.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: حدثنا مؤمَّل، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرِّب، عن علي رضي الله عنه، قال: لما أُمِرَ «إبراهيم» ببناء البيت خرج معه «إسماعيل» و«هاجر»، فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس، فكلَّمه وقال: يا إبراهيم! ابن على ظلِّي ـ أو على قدْري ـ ولا تزد ولا تنقص، فلما بنى خرج وخلَّف «إسماعيل» و«هاجر»، فقالت «هاجر»: يا إبراهيم! إلى من تَكِلُنا؟ قال: إلى الله، قالت: انطلق فإنه لا يضيعنا، قال: فعطش، «إسماعيل» عطشاً شديداً، فصعدت «هاجر» الصفا، فنظرت فلم تر شيئاً، حتى فعلت ذلك سبع مرات، فقالت: يا «إسماعيل»! مُتْ حيث لا أراك، فأتته وهو يفحص ـ يبحث ويزيل التراب عن حفرة ـ برجله من العطش، فناداها «جَبْرائيل» فقال: من أنت؟ قالت: أنا «هاجر» أم ولد «إبراهيم»، قال: إلى من وَكَلَكُمَا؟ قالت: وَكَلَنَا إلى الله، قال: وَكَلَكُمَا إلى كافٍ، قال: ففحص الغلام الأرض بإصبعه، فنبعت زمزم، فجعلت تحبس الماء، فقال: دعيه، فإنها رَوَاء ـ أي: ماء عذب ـ[1].

وتابع أبو جعفر الطبري القول: وقال آخرون: إن الذي خرج مع «إبراهيم»

(١) تاريخ الطبري (١/٢٥١، ٢٥٢).

من الشام لدلالته على موضع البيت «جبرائيل» عليه السلام.

وقالوا: كان إخراجه «هاجر» و«إسماعيل» إلى مكة لما كان من غَيْرة «سارة» بسبب ولادة «هاجر» منه «إسماعيل».

ذكر من قال ذلك: حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه: أن «سارة» قالت لإبراهيم: تَسَرَّ «هاجر» فقد أذِنْتُ لك، فوطئها، فحملت بإسماعيل، ثم إنه وقع على «سارة» فحملت بإسحاق، فلما ولدته وكبر، اقتتل هو و«إسماعيل»، فغضبت «سارة» على «أم إسماعيل» وغارت عليها، فأخرجتها، ثم إنها دعتها فأدخلتها، ثم غضبت أيضاً فأخرجتها، ثم أدخلتها، وحلفت لتقطعَنَّ منها بَضْعَة، فقالت: أقطع أنفها، أقطع أذنها، فيشينها ذلك، ثم قالت: لا، بل أخْفِضها ـ الخفض للجارية مثل الختان للصبي ـ فقطعت ذلك منها، فاتخذت «هاجر» عند ذلك ذيلاً تعفّي به عن الدم، فلذلك خفضت النساء، واتخذت ذيولاً، ثم قالت: لا تُسَاكِنُني في بلد، وأوحى الله إلى «إبراهيم» أن يأتي مكة، وليس يومئذ بمكة بيت، فذهب بها إلى مكة وابنها، فوضعهما، وقالت له «هاجر»: إلى من تركتنا ههُنا؟ ثم ذكر خبرها وخبر ابنها(١).

ثم قال أبو جعفر: فلما فرغ «إبراهيم» من بناء البيت الذي أمره الله ﷻ ببنائه، أمره الله أن يؤذّن في الناس بالحج، فقال له: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ [الحج، الآية: ٢٧]، فقال «إبراهيم» ـ فيما ذكر لنا ـ ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما فرغ «إبراهيم» من بناء البيت، قيل له: أذّن في الناس بالحج، قال: يا رب! وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّن وعليَّ البلاغ، فنادى «إبراهيم» يا أيها الناس! كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترون الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون؟

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٢٥٣، ٢٥٤).

obeikandl.com

وعن الحسن بن عرفة، قال: حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما بنى «إبراهيم» البيت أوحى الله ﷻ إليه: أن أذِّن في الناس بالحج، قال: فقال «إبراهيم»: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتاً، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء، من حجر أو شجر أو أكمة، أو تراب أو شيء: لبيك اللهم لبيك![1].

وقال أبو جعفر: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين بن واقد، عن أبي الزبير، عن مجاهد، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحجّ، الآية: ٢٧]، قال: قام «إبراهيم» ﵇ خليل الله على الحَجَر فنادى: يا أيها الناس! كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك!

وأضاف: حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمٰن، قال: حدثنا سفيان، عن سلمة، عن مجاهد، قال: قيل لإبراهيم: أذن في الناس بالحج، فقال: يا رب! كيف أقول؟ قال: قل: لبيك اللهم لبيك! قال: فكانت أول التلبية[2].

وروى أبو جعفر عن ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عمر بن عبد الله بن عروة، أن عبد الله بن الزبير، قال لعبيد بن عمير الليثي: كيف بلغك أن «إبراهيم» دعا إلى الحج؟ قال: بلغني أنه لما رفع هو و«إسماعيل» قواعد البيت، وانتهى إلى ما أراد الله من ذلك، وحضر الحج، استقبل اليمن، فدعا إلى الله، وإلى حج بيته، فأجيب: أن لبيك اللهم لبيك! ثم استقبل المشرق، فدعا إلى الله، وإلى حج بيته، فأجيب: أن لبيك اللهم لبيك! ثم إلى المغرب، فدعا إلى الله، وإلى حجه بيته، فأجيب: أن لبيك اللهم لبيك! ثم إلى الشام فدعا إلى الله ﷻ، وإلى حج بيته، فأجيب: أن لبيك اللهم لبيك! ثم خرج بإسماعيل وهو معه يوم التروية، فنزل به «مِنًى» ومن معه من المسلمين، فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة، ثم بات بهم حتى أصبح، فصلى بهم صلاة

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٢٦٠).
(٢) تاريخ الطبري (١/ ٢٦٠، ٢٦١).

الفجر، ثم غدا بهم إلى «عرَفَة»، فقال بهم هنالك، حتى إذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين: الظهر والعصر، ثم راح بهم إلى الموقف من «عَرَفَة»، فوقف بهم على «الأراك»، وهو الموقف من «عَرَفَة» الذي يقف عليه الإمام يريه ويعلِّمه، فلما غربت الشمس، دفع به وبمن معه حتى أتى «المزدلفة»، فجمع فيها بين الصلاتين: المغرب والعشاء الآخرة، ثم بات بها وبمن معه، حتى إذا طلع الفجر صلى بهم صلاة الغداة ـ أي: صلاة الفجر ـ، ثم وقف بهم على «قُزَح» من «المزدلفة» فيمن معه، وهو الموقف الذي يقف به الإمام حتى إذا أسفر، دفع به وبمن معه يريه ويعلِّمه كيف يصنع، حتى رمى الجمرة الكبرى، وأراه المنحر من «مِنًى»، ثم نحر وحَلَقَ، ثم أفاض به من «مِنًى» ليريه كيف يطوف، ثم عاد به إلى «مِنًى» ليريه كيف يرمي الجمار، حتى فرغ له من الحج، وأذَّن به في الناس.

قال أبو جعفر: وقد رُوِيَ عن رسول الله ﷺ، وعن بعض أصحابه: أن «جبرائيل» هو الذي كان يُرِي «إبراهيم» المناسك إذا حَجَّ.

ذكر الرواية بذلك عن رسول الله ﷺ:

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا ابن أبي ليلى، عن ابن مليكة، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: أتى جَبْرائيل «إبراهيم» يوم التروية، فراح به إلى «مِنًى» فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر بِمنًى، ثم غدا به إلى «عرفات»، فأنزله الأراك ـ أو حيث ينزل الناس ـ فصلى به الصلاتين جميعاً: الظهر والعصر، ثم وقف به، حتى إذا كان كأعجل ما يصلي أحد من الناس المغرب، أفاض حتى أتى به جَمْعاً، فصلى به الصلاتين جميعاً: المغرب والعشاء، ثم أقام، حتى إذا كان كأعجل ما يصلي أحد من الناس الفجر صلى به، ثم وقف، حتى إذا كان كأبطإ ما يصلي أحد من المسلمين الفجر أفاض به إلى «مِنًى»، فرمى الجمرة، ثم ذبح وحَلَقَ، ثم أفاض إلى البيت، ثم أوحى الله عز وجل إلى «محمد» ﷺ: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل، الآية: ١٢٣] [(١)].

(١) تاريخ الطبري (١/ ٢٦١، ٢٦٢).

وأضاف أبو جعفر الطبري رحمه الله يقول:

ثم إن الله تعالى ذِكْرُه ابتلى خليله «إبراهيم» عليه السلام بذبح ابنه، واختلف السلف من علماء أمة نبينا ﷺ في الذي أُمِرَ بذبحه من ابنيه، فقال بعضهم: هو «إسحاق بن إبراهيم»، وقال بعضهم: هو «إسماعيل بن إبراهيم»، وقد رُوِيَ عن رسول الله ﷺ كلا القولين، لو كان فيهما صحيح لم نَعْدُه إلى غيره، غير أن الدليل من القرآن، على صحة الرواية التي رويت عنه ﷺ أنه قال: «هو إسحاق» أوضح وأبين منه على صحة الأخرى.

والرواية التي رويت عنه أنه قال: «هو إسحاق» حدثنا بها أبو كريب، قال: حدثنا زيد بن الحباب، عن الحسن بن دينار، عن علي بن زيد بن جُدْعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ في حديث ذكر فيه: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧] قال: «هو إسحاق».

وقد روي هذا الخبر عن غيره من وجه أصلح من هذا الوجه، غير أنه موقوف على «العباس» غير مرفوع إلى رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن مبارك، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧] قال: «هو إسحاق».

وأما الرواية التي رويت عنه أنه هو «إسماعيل»، فما حدثنا محمد بن عمار الرازي، قال: حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، قال: حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي، عن عبد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان، عن أبيه، قال: حدثني عبد الله بن سعيد عن الصُّنَابِحي، قال: كنا عند «معاوية بن أبي سفيان»، فذكروا الذبيح: «إسماعيل» أو «إسحاق» فقال: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله! عُدْ عليَّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين! فضحك رسول الله ﷺ، فقيل له: وما الذبيحان؟ يا رسول الله! فقال: «إن عبد المطلب لما أُمِرَ بحفر زمزم نذر لله: لئن

سَهَّل الله له أمرها ليذبَحنَّ أحدَ ولده.

قال: **فخرج السهم على «عبد الله»، فمنعه أخواله وقالوا: أَفْدِ ابنَكَ بمائة من الإبل، ففداه بمائة من الإبل، و«إسماعيل» الثاني».**

وأورد أبو جعفر من قال من السلف: إنه «إسحاق»، ومن قال: إنه «إسماعيل». ذكر من قال: هو «إسحاق»:

ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن مبارك، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧] قال: هو «إسحاق».

ـ حدثنا الحسين بن يزيد الطحان، قال: حدثنا ابن إدريس، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الذي أُمِرَ بذبحه «إبراهيم» هو «إسحاق».

ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن داود، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: الذبيح هو «إسحاق».

ـ حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧] قال: هو «إسحاق».

ـ حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود، فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن «إسحاق» ذَبيح الله، بن إبراهيم خليل الله.

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن محمد بن مسلم الزهري، عن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، حليف بني زهرة، عن أبي هريرة، عن كعب الأحبار، أن الذي أُمِرَ بذبحه «إبراهيم» من ابنيه «إسحاق».

ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب: أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي، أخبره أن «كعباً» قال

obeikandl.com

لأبي هريرة: ألا أخبرك عن «إسحاق بن إبراهيم» النبي؟ قال أبو هريرة: بلى، قال كعب: لما أُرِيَ «إبراهيم» ذبح «إسحاق» قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا «آل إبراهيم» لا أفتن أحداً منهم أبداً، فتمثَّل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج «إبراهيم» بإسحاق ليذبحه، دخل على «سارة» امرأة «إبراهيم»، فقال لها: أين أصبح «إبراهيم» غادياً بإسحاق، قالت: غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله! ما لذلك غدا به، قالت «سارة»: فلمَ غدا به: قال: غدا به ليذبحه، قالت «سارة»: ليس من ذلك شيء، لم يكن ليذبح ابنه، قال الشيطان: بلى والله! قالت «سارة»: فَلِمَ يذبحه؟

قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قالت «سارة»: فهذا حسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك.

فخرج الشيطان من عند «سارة» حتى أدرك «إسحاق» وهو يمشي على أثر أبيه، فقال له: أين أصبح أبوك غادياً بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله! ما غدا بك لبعض حاجته ولكنه غدا بك ليذبحك، قال «إسحاق»: ما كان أبي ليذبحني، قال: بلى، قال: لِمَ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال «إسحاق»: فوالله! لئن أمره بذلك ليطيعَنَّه، فتركه الشيطان، وأسرع إلى «إبراهيم»، فقال: أين أصبحت غادياً بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي، قال: أما والله! ما غدوت به، إلا لتذبحه، قال: لِمَ أذبحه؟ قال: زعمت أن ربك أمرك بذلك، قال: فوالله! لئن كان أمرني ربي لأفعَلنَّ. قال: فلما أخذ «إبراهيم»، «إسحاق» ليذبحه، وسلَّم «إسحاق» أعفاه الله، وفداه بذبح عظيم.

قال «إبراهيم» لإسحاق: قم أيْ بُنَيَّ! فإن الله قد أعفاك، فأوحى الله إلى «إسحاق»: إني أعطيك دعوة أستجيب لك فيها، قال «إسحاق»: اللهم! فإني أدعوك أن تستجيب لي: أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة.

ـ حدثني عمرو بن عليٍّ، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا سفيان، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبيه، قال: قال موسى: يا رب! يقولون: يا إلٰه «إبراهيم» و«إسحاق» و«يعقوب»، فِيم قالوا ذلك؟ قال: إن

«إبراهيم» لم يَعْدِل بي شيئاً قط إلا اختارني عليه، وإن «إسحاق» جاد لي بالذبح، وهو بغير ذلك أجود، وإن «يعقوب» كلما زدته بلاء زادني حسن ظن.

ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا سفيان بن عقبة، عن حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، قال: قال «يوسف» للمَلِك في وجهه: ترغب أن تأكل معي، وأنا والله! يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله؟

ـ حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرَّةَ الهَمْداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، أن إبراهيم عليه السلام أُرِيَ في المنام، فقيل له: أَوْفِ نذرك الذي نذرت: إن رزقك الله غلاماً من «سارة» أن تذبحه.

ذكر من قال: هو «إسماعيل»:

ـ حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: حدثنا يحيى بن يمان، عن إسرائيل، عن ثُوَيْر، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: الذبيح هو «إسماعيل».

ـ حدثناابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا بيان، عن الشعبي، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧] قال: «إسماعيل».

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو حمزة، محمد بن ميمون السكري، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إن الذي أُمِرَ بذبحه «إبراهيم»، «إسماعيل».

ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا هُشَيْم، عن علي بن زيد، عن عمار مولى بني هاشم، وعن يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس، قال: هو «إسماعيل»، يعني: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧].

ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عُلَيَّة، قال: حدثنا داود، عن الشعبي، قال: قال ابن عباس: هو «إسماعيل».

ـ وحدثني به يعقوب مرة أخرى، قال: حدثنا ابن عُلَيَّة، قال: سئل داود بن أبي هند: أيُّ ابْنَيْ «إبراهيم» أُمِرَ بذبحه؟ فزعم أن الشعبي قال: قال ابن عباس: هو «إسماعيل».

ـ وعن ابن وَهْب، قال: أخبرني عمر بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس، أنه قال: المُفَدَّى «إسماعيل»، وزعمت اليهود أنه «إسحاق» وكذبت اليهود.

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، وهو يقول: إن الذي أمر الله ﷻ «إبراهيم» بذبحه من ابنيه «إسماعيل»، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله ﷻ، في قصة الخبر، عن «إبراهيم» وما أُمِرَ به من ذبح ابنه، أنه «إسماعيل»، وذلك أن الله ﷻ يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني «إبراهيم»، قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصَّافات، الآية: ١١٢] ، ويقول: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هُود، الآية: ٧١] ، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن يأمره بذبح «إسحاق»، وله فيه من الوعود ما وعَده، وما الذي أُمِرَ بذبحه إلا «إسماعيل». وقد أيّد ذلك «عمر بن عبد العزيز» فيما هو آتٍ.

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن بُرَيْدَة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز، وهو خليفة إذ كان معه بالشام، فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم، فحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء اليهود، فسأله «عمر بن عبد العزيز» عن ذلك.

قال محمد بن كعب القرظي: وأنا عند «عمر بن عبد العزيز» فقال له «عمر»: أيُّ ابْنَيْ «إبراهيم» أُمِرَ بذبحه؟ فقال: «إسماعيل» والله يا أمير المؤمنين! إن اليهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره على ما أمر به، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه «إسحاق»، لأن إسحاق أبوهم.

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، وعمرو بن عبيد، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني «إبراهيم»: «إسماعيل».

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: سمعت محمد بن كعب القرظي، يقول ذلك كثيراً.

وتابع ابن جرير الطبري، يقول: وأما الدلالة من القرآن التي قلنا إنها على أن ذلك «إسحاق» أصح، فقوله تعالى مخبراً عن دعاء خليله «إبراهيم» حين فارق قومه مهاجراً إلى ربه إلى الشام مع زوجته «سارة» فقال: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصَّافات، الآيتان: ٩٩، ١٠٠]، وذلك قبل أن يعرف «هاجَر» وقبل أن تصير له «أم إسماعيل»، ثم أتبع ذلك ربنا ﷻ الخبر عن إجابته دعاءه، وتبشيره إياه بغلام حليم، ثم عن رؤيا «إبراهيم» أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعي، ولا يعلم في كتاب ذِكْرٌ لتبشير «إبراهيم» بولد ذكر إلا بإسحاق، وذلك قوله: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود، الآية: ٧١]، وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الذاريات، الآيتان: ٢٨، ٢٩]، ثم ذلك كذلك في كل موضع ذكر فيه تبشير «إبراهيم» بغلام، فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجته «سارة»، فالواجب أن يكون ذلك في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠١]، نظير ما في سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته «سارة». وأما اعتلال من اعتلَّ بأن الله لم يكن يأمر «إبراهيم» بذبح «إسحاق» وقد أتته البشارة من الله قبل ولادته بولادته وولادة «يعقوب» منه من بعده، فإنها علة غير موجبة صحة ما قال، وذلك أن الله إنما أمر «إبراهيم» بذبح «إسحاق» بعد إدراك «إسحاق» السعي، وجائز أن يكون «يعقوب» وُلِدَ له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه، وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتلَّ في ذلك بقرن الكبش أنه رآه معلقاً في الكعبة، وذلك أنه غير مستحيل أن يكون حُمِلَ من الشام إلى الكعبة فعلِّق هنالك[1].

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٢٦٣ ـ ٢٧١).

ورُبَّ سائل يسأل: ما السبب الذي من أجله أُمِرَ «إبراهيم» بذبح ابنه! وجواب ذلك سنسمعه من أبي جعفر الطبري رحمه الله كما ذكره في تاريخه، حيث قال: والسبب في أمر الله عليه السلام «إبراهيم» بذبح ابنه الذي أمره بذبحه، فيما ذُكِرَ أنه إذ فارق قومه هارباً بدينه، مهاجراً إلى ربه، متوجهاً إلى الشام من أرض العراق، دعا الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحاً من «سارة» فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٠] يعني بذلك ولداً صالحاً من الصالحين، كما أخبر الله تعالى عنه، فقال: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصَّافات، الآيتان: ٩٩،١٠٠] ، فلما نزل به أضيافه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى المؤتفكة قوم «لوط» بشروه بغلام حليم عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره، فقال «إبراهيم» إذ بشر به: هو إذاً لله ذبيح، فلما ولد الغلام وبلغ السعي قيل له: أَوْفِ بنذرك الذي نذرت لله.

ذكر من قال ذلك:

ـ حدثني موسى بن هارون، قال: حدثني عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرَّة الهَمْداني، عن عبد الله، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: قال: «جَبْرائيل» عليه السلام لسارة: أبشري بولد اسمه «إسحاق»، ومن وراء «إسحاق»، «يعقوب»، فضربت جبينها عجباً، فلذلك قوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات، الآية: ٢٩] ، وقالت: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود، الآية: ٧٢] ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود، الآية: ٧٣] ، قالت «سارة» لجَبْرائيل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتزَّ أخضر، فقال «إبراهيم»: هو إذاً لله ذبيح.

فلما كبر «إسحاق» أُتِيَ «إبراهيم» في النوم، فقيل له: أَوْفِ بنذرك الذي نذرت، إن نذرك الله غلاماً من «سارة» أن تذبحه، فقال لإسحاق: انطلق فقرِّب قرباناً إلى الله، وأخذ سكيناً وحبلاً، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال، قال له الغلام: يا أبت! أين قربانك؟ قال: يا بني! إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى؟ قال: يا أبت! افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. قال له «إسحاق»: اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عن ثيابك

حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه «سارة» فتحزن، وأسرع مَرَّ السكين على حلقي ليكون أهون للموت عليَّ، وإذا أتيت «سارة» فاقرأ عليها السلام، فأقبل عليه «إبراهيم» عليه السلام يقبله، وقد ربطه وهو يبكي، و«إسحاق» يبكي، حتى استنقع الدموع تحت خَدِّ «إسحاق»، ثم إنه جر السكين على حلقه فلم يُحِكِ ـ لم يقطع ـ السكين، وضرب الله ﷻ صفيحة من نحاس على حلق «إسحاق»، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه، وحَزَّ في قفاه، قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٣] ، يقول: سلَّما لله الأمر، فنودي: يا إبراهيم! قد صدقت الرؤيا بالحق، الْتَفِتْ، فإذا بكبش، فأخذه وخلَّى عن ابنه، فأكبَّ على ابنه يقبله، وهو يقول: يا بني! اليوم وُهِبْتَ لي، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧] ، فرجع إلى «سارة» فأخبرها الخبر، فجزعت «سارة» وقالت: يا إبراهيم! أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني!

وتابع ابن جرير قوله:

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: كان «إبراهيم» فيما يقال: إذا زارها ـ يعني هاجَر ـ حمل على البُراق يغدو من الشام، فيقيل بمكة، ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام، حتى إذا بلغ معه السعي، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته، أُرِيَ في المنام أن يذبحه.

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم: أن «إبراهيم» حين أمر بذبح ابنه قال له: يا بني! خذ الحبل والمُدْية، ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب ليحطِبَ أهلُكَ منه، قبل أن يذكر له شيئاً مما أُمِرَ به، فلما وجَّه إلى الشعب اعترضه عدو الله «إبليس» ليصده عن أمر الله في صورة رجل، فقال: أين تريد أيها الشيخ؟ قال: أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه، فقال: والله! إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك، فأمرك بذبح بُنَيِّك هذا، فأنت تريد ذبحه، فعرفه «إبراهيم»، فقال: إليك عني، أي عدو الله! فوالله! لأَمْضِيَنَّ لأمر ربي فيه، فلما يئس عدو الله «إبليس» من «إبراهيم» اعترض «إسماعيل» وهو وراء «إبراهيم» يحمل الحبل والشفرة، فقال له: يا غلام! هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: يحطِب أهْلَنا من هذا الشعب، قال: والله! ما يريد إلا أن يذبحك،

قال: لِمَ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره به ربه، فسمعاً وطاعة، فلما امتنع منه الغلام، ذهب إلى «هاجَر» أم «إسماعيل» وهي في منزلها، فقال لها: يا أم «إسماعيل»! هل تدرين أين ذهب «إبراهيم» بإسماعيل؟ قالت: ذهب يحطبنا من هذا الشعب، قال: ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: كلا هو أرحم به وأشد حباً له من ذلك، قال: إنه يزعم أنّ الله أمره بذلك، قالت: إن كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله، فرجع عدو الله بغيظه لم يصب من آل «إبراهيم» شيئاً مما أراد، وقد امتنع منه «إبراهيم» و«آل إبراهيم» بعون الله، وأجمعوا لأمر الله بالسمع والطاعة، فلما خلا «إبراهيم» بابنه في الشِّعب ـ وهو فيما يزعمون شعب ثبير ـ قال له: يا بني! إني أرى في المنام أني أذبحك، قال: يا أبتِ افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

قال ابن حميد: قال سلمة: قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم: إنّ «إسماعيل» قال له عند ذلك: يا أبتِ! إن أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصبك مني شيء فينقص أجري، فإن الموت شديد، وإني لا آمن أن اضطرب عنده إذا وجدتَ مَسَّهُ، واشحذ شفرتك حتى تجهز عليَّ فتريحني، وإذا أنت أضجعتني لتذبحني فكُبَّني لوجهي على جبيني ولا تضجعني لِشِقِّي، فإني أخشى إن أنت نظرت في وجهي أن تدركك رقة تحول بينك وبين أمر الله فيَّ، وإن رأيت أن تَرُدَّ قميصي على أمي، فإنه عسى أن يكون هذا أسلى لها عني، فافعل.

قال: يقول له «إبراهيم»: نعم العون أنت يا بني! على أمر الله، قال: فربطه كما أمره «إسماعيل» فأوثقه، ثم شحذ شفرته، ثم تلَّه للجبين، واتقى النظر في وجهه، ثم أدخل الشفرة لحلقه فقلبها الله لقفاها في يده، ثم اجتذبها إليه ليفرغ منه، فنوديَ: أن يا إبراهيم! قد صَدَّقت الرؤيا، هذه ذبيحتك فداء لابنك، فاذبحها دونه، يقول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٣] وإنما تُتَلُّ الذبائح على خدودها، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن «إسماعيل» في إشارته على أبيه بما أشار إذ قال: كُبَّني على وجهي، قوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصَّافات، الآيات: ١٠٣-١٠٧].

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن قَتَادة بن دِعَامَة، عن جعفر بن إياس، عن عبد الله بن عباس، قال: خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً، فأرسل «إبراهيم» ابنه فاتَّبَع الكبش، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حَصَيات، فأفلته عنده، فجاء الجمرة الوسطى، فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات، فأخرجه عندها، ثم أخذه فأتى به المنحر من «مِنًى»، فذبحه، فوالذي نفس ابن عباس بيده، لقد كان أولُ الإسلام، وإن رأس الكبش لمعلَّق بقرنيه في ميزاب الكعبة، وقد وَخُشَ ـ يعني: قد يبس[(١)].

ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمٰن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن خُثَيْم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الكبش الذي ذبحه «إبراهيم» عليه السلام هو الكبش الذي قَرَّبه ابن آدم فتقُبِّل منه.

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧] قال: كان الكبش الذي ذبحه «إبراهيم» رعى في الجنة أربعين سنة، وكان كبشاً أملح، صوفه مثل العهن الأحمر.

ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن رجل، عن أبي صالح، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧] قال: كان وَعِلاً.

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أنه كان يقول: ما فُدِيَ «إسماعيل» إلا بتيس كان من الأروى، أهبط عليه من ثَبير، وما يقول الله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٧] ، لذبيحته فقط، ولكنه الذبح على دينه، فتلك السنة إلى يوم القيامة، فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء، فضحُّوا عباد الله.

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٦).

obeikandl.com

وقد قال «أمية بن أبي الصلت» في السبب الذي من أجله أُمِرَ «إبراهيم» بذبح ابنه شعراً، ويحقق بقيله ما قال في ذلك، الرواية التي رويناها عن السُّدِّيِّ، وأن ذلك كان من «إبراهيم» عن نذر كان منه، فأمره الله بالوفاء به، فقال:

ولإبراهيم المُوَفِّي بالنَّذْ ... رِ احتساباً وحامل الأجزالِ
بِكرِه لم يكن ليصبر عنهُ ... أو يراه في معشر أقيالِ
أيْ بُنَيَّ إني نذرتُك لِلَّـ ... ـهِ شَحيطاً فاصبر فِدًى لك خالي
واشْدُدِ الصَّفْدَ لا أحيد عن السِّكْـ ... ـكِينِ حَيْدَ الأسير ذي الأغلالِ
وله مُدْيَةٌ تَخَايَلُ في اللَّحْـ ... ـمِ جُذَامٌ حَنِيَّةٌ كالهلالِ
بينما يخلع السراويلَ عنه ... فَكَّه ربُّه بكبشٍ جُلاَلِ
فَخُذَنْ ذا فأرسلِ ابنَكَ إني ... للذي قد فعلتما غيرُ قالِ
والدٌ يتقي وآخرُ مولو ... دٌ فطارا منه بسمع فعالِ
رُبَّما تجزع النفوس من الأمْـ ... ـرِ له فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ(١)

ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين ـ يعني ابن واقد ـ عن زيد، عن عكرمة، قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٣] قال: أسلما لله جميعاً لأمر الله، رضي الغلام بالذبح، ورضي الأب بأن يذبحه، قال: يا أبت! اقذفني للوجه كيلا تنظر إليَّ فترحمني، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع، ولكن أدخلِ الشفرة من تحتي، وامْضِ لأمر الله، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣﴾ [الصَّافات، الآية: ١٠٣]، فلما فعل ذلك ناديناه: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥﴾ [الصَّافات، الآيتان: ١٠٤، ١٠٥](٢).

وقد أدلى صاحب «زاد المعاد» بدلوه في تحديد من هو الذبيح فرأى أنه سيدنا «إسماعيل» عليه السلام، فقال «ابن القيم» رحمه الله: إنَّ الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بِكْرَ الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، و«إبراهيم» عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذه خليلاً،

---

(١) الأبيات في خزانة الأدب (٢/ ٥٤٢).
(٢) تاريخ الطبري (١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨).

obeikandl.com

والخلة: منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة، وألَّا يشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الوَلَدُ شُعْبَةً من قلب الوالد، جاءت غَيْرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل، فأمره بذبح المحبوب، فلما أقدم على ذبحه، وكان محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، خَلُصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هي في العَزْم، وتوطيد النفس عليه، فقد حصل المقصود وفُدِيَ الذبيح، وصَدَّق الخليل الرؤيا، وحصل مراد الرب تبارك وتعالى، ومعلوم أن هذا الامتحان إنما حصل عند أول مولود، ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول، بل لم يحصل في المولود الآخر دون الأول، بل لم يحصل عند المولود من مزاحمة الخلة ما يقتضي الأمر بذبحه، وهذا في غاية الظهور(١).

وقد أورد الإمام «القرطبي» في تفسيره أن «الأصمعي» سأل «أبا عمرو بن العلاء» عن الذبيح «إسحاق» كان أم «إسماعيل»؟ فقال: يا أصمعي! أين عَزَبَ عقلك؟ ومتى كان «إسحاق» بمكة؟ وإنما كان «إسماعيل»، وهو الذي بنى البيت مع أبيه، والمنحر بمكة(٢).

وذكر «القرطبي» رحمه الله ما قاله بعض أهل الإشارة: إن «إبراهيم» ادعى محبة الله، ثم نظر إلى الولد بالمحبة، فلم يرض حبيبه محبة مشتركة، فقيل له: يا إبراهيم! اذبح ولدك في مرضاتي، فشَمَّر وأخذ السكين، وأضجع ولده، ثم قال: اللهم! تقبله مني في مرضاتك، فأوحى الله إليه: يا إبراهيم! لم يكن المراد ذبح الولد، وإنما المراد أن تردَّ قلبك إلينا، فلما رددت قلبك بكليته إلينا، رددنا ولدك إليك(٣).

وقد أكد «ابن القيم» رحمه الله إصراره على أن الذبيح «إسماعيل» فقال: وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه «إسحاق» فباطل بأكثر من عشرين وجهاً.

---

(١) انظر زاد المعاد (١/ ٧٤، ٧٥).
(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ١٠٠).
(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ١٠٥).

obeikandi.com

ويضيف «ابن القيم» قائلاً: وسمعت شيخ الإسلام «ابن تيمية» ـ قدس الله روحه ـ يقول: هذا القول إنما متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: إن الله أمر «إبراهيم» أن يذبح ابنه بِكْرَه، وفي لفظ: وحيده، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن «إسماعيل» هو بِكْرُ أولاده، والذي غَرَّ هؤلاء أن في التوراة التي بأيديهم: اذبح ابنك «إسحاق».

قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم، لأنها تناقض قوله: اذبح بكرك ووحيدك، ولكن اليهود حسدت بني «إسماعيل» على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويحتازوه لأنفسهم دون العرب، ويأبى الله إلَّا أن يجعل فضله لأهله[1].

وقد روي أن «أبا سعيد الضرير» سئل عن الذبيح فأنشد هذه الأبيات:

إن الذبيح هُدِيتَ إسماعيلُ ... نطق الكتاب بذاك والتنزيلُ
شرف به خص الإله نبيَّنا ... وأتى به التفسير والتأويلُ
إن كنت أمَّته فلا تُنْكِرْ له ... شرفاً به قد خَصَّه التفصيلُ

والذي يميل إليه قلبي بعد تفحص الآراء والحجج التي تقدم ذكرها أن الذبيح «إسماعيل» عليه السلام، وفوق كل ذي عليم، والله العلَّام الحكيم.

وامتدت حياة «هاجَر» إلى نحو تسعين سنة كما ذكر «محمد بن سعد» في طبقاته[2]، ودعيت جارة الله إلى لقياه، فلبت النداء، وكان البيت العتيق الذي بناه زوجها «الخليل» وابنها «إسماعيل» آخر ما رمقته عيناها قبل أن تغمضهما إلى الأبد.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية، صفة خليل الرحمٰن عليه السلام فقال: قال الإمام أحمد: حدثنا الليث، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«عرض عليَّ الأنبياء، فإذا «موسى» ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت «عيسى ابن مريم» فإذا أقرب من رأيت به شبهاً «عروة بن مسعود، ورأيت «إبراهيم» فإذا أقرب من رأيت به شبهاً «دحية»**. تفرد به

(١) زاد المعاد (١/ ٧١، ٧٢).
(٢) الطبقات (١/ ٥٢).

الإمام أحمد من هذا الوجه وبهذا اللفظ.

وقال أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل، عن عثمان ـ يعني ابن المغيرة ـ، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت «عيسى ابن مريم» و«موسى» و«إبراهيم»، فأما «عيسى» فأحمر جعد، عريض الصدر، وأما «موسى» فآدم جسيم)** قالوا له: فإبراهيم؟ قال: **(انظروا إلى صاحبكم يعني نفسه»**.

وقال البخاري: حدثنا بنان بن عمرو، حدثنا النضر، أنبأنا ابن عون، عن مجاهد: أنه سمع ابن عباس، وذكروا له الدجال بين عينيه كافراً و(ك ف ر) فقال: لم أسمعه، ولكنه قال ﷺ: **«أما «إبراهيم» فانظروا إلى صاحبكم، وأما «موسى» فجعد آدم على جمل أحمر مخطوم بخِلْبِه كأني أنظر إليه انحدر في الوادي»**(١)!! رواه البخاري ومسلم.

كما ذكر ابن عساكر بسنده عن عروة بن الزبير في كتابه «تاريخ مدينة دمشق» صفة «هاجَر» رضي الله عنها فقال: إن «هاجَر» كانت جارية من جُرْهُم، فسُبِيَتْ، فوقعت عند فرعون بمصر، فمن ثَمَّ قال أبو هريرة: «فتلك أمكم يا بني ماء السماء».

قال: وكانت جارية شَعْراء، كحلاء، جعدة، مفلَّجة الثنايا، حسناء، عربية اللسان والحسب، فأعطاها ـ أي: ملك مصر ـ ألف شاة، ومائة بقرة برعايتها، وأعطاها خمسين بعيراً، وخمسين حماراً، فجاءت «سارة» إلى «إبراهيم» فقالت: أبشر، فقد صنع الله لك.

فقال «إبراهيم» عليه السلام: لم يزل بي حفيًّا(٢).

وقد ألَّف الله بين قلبي «سارة» و«هاجَر»، وأحبَّت كل منهما صاحبتها، رغم تباين السن بينهما، وقد أفضى ذلك الحب بهاجَر إلى خير عميم ملأ حياتها بالسعادة، فقد رأت سيدتها «سارة» تقف في محرابها للصلاة تارة ولمناجاة ربها

---

(١) البداية والنهاية (١/ ١٩٢، ١٩٣).
(٢) انظر تاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء ص: ٤١٥).

تارة أخرى، ولسانها لا يكاد يكف عن تسبيح الله والثناء عليه، وراحت تسألها عن هذا الذي تتحدث إليه وتناجيه آناء الليل وأطراف النهار، وليس لها مبتغى إلَّا رضاه، من هو؟

وسرت «سارة» بسؤال «هاجَر» وأجابتها أنه الله، الذي خلق الخلائق كلها، وفطر السماوات والأرضين، وما فيها، وأسبغ النعم ظاهرة وباطنة، ولم يكن له من طلب إلى عباده إلَّا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً.

وراق حديث «سارة» لهاجَر، واخترقت كلماتها سويداء قلبها، فآمنت بالله واتَّبعت هداه، وأخذت تنافس مولاتها في أمور العبادة.

وسعدت «سارة» و«إبراهيم» عليه السلام بإيمان «هاجَر» وحرصها على طاعة ربها، وفي لحظة من صفاء الروح، وسمو الفكر، بدا لسارة رضي الله عنها أن الشيء الذي لم تستطع أن تحققه لإبراهيم وتسعده به، وهو إنجاب الولد، قد تكون «هاجَر» قادرة عليه، فأذنت لزوجها «الخليل» بوطئها، وتزوجها «إبراهيم» فحملت، لكن هذا الحمل الذي تمَّ بتدبير «سارة» وإرادتها، قد أثار غيرتها، وبدأ حبها لهاجَر يفتر ويخبو، وشعرت «هاجَر» أن حملها قد عزَّز مكانتها عند «إبراهيم» عليه السلام ورفع من قدرها، فاستعلت على «سارة» وأخذت تتعاظم عليها، وتفاقم الأمر بينهما بعد أن وضعت «هاجَر» «إسماعيل» عليه السلام، وارتفعت حدة الغيرة عند «سارة» فطلبت من «إبراهيم» عليه السلام أن يبعد ضرتها وابنها، فاستجاب «إبراهيم» لها، وخرج بهاجَر و«إسماعيل» إلى مكة، وكان مولد «إسماعيل» قبل أن تضع «سارة» ولدها «إسحاق» بثلاث عشرة سنة[١].

والحق أن هذا الأمر لم يتمَّ وفاقاً لرغبة «سارة» ولا لإرادة «إبراهيم»، ولكن تمَّ بتدبير العزيز العليم، الذي له الخلق والأمر، وتصريف شؤون عباده، يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ومن غير الله كان يعلم أن لهذا الولد البار «إسماعيل» شأناً عظيماً، وأنه سيعين أباه «إبراهيم» عليه السلام في بنيان بيت الله العتيق، وأنه سيكون نبياً كأبيه،

(١) البداية والنهاية (١/ ١٧١).

ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور، وهو السيد المطلق، وأمره بعباده مستوجب التنفيذ، ومن أشد طاعة لله من أنبيائه ورسله المقربين.

لقد انطلق «إبراهيم» عليه السلام بهاجَر وولدهما «إسماعيل» عليه السلام إلى مكة وكان روح القدس «جبريل الأمين» عليه السلام لهم نعم الدليل، فما أعظم فضل الله على خليله وعلى آل بيته الطيبين!

ثم رحلت «هاجَر» إلى لقاء ربها راضية مرضية، ودفنت في الحجر تحت الميزاب(١)، رحمها الله تعالى.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد نقلاً عن السيوطي ـ رحمهما الله تعالى ـ .

obeikandl.com